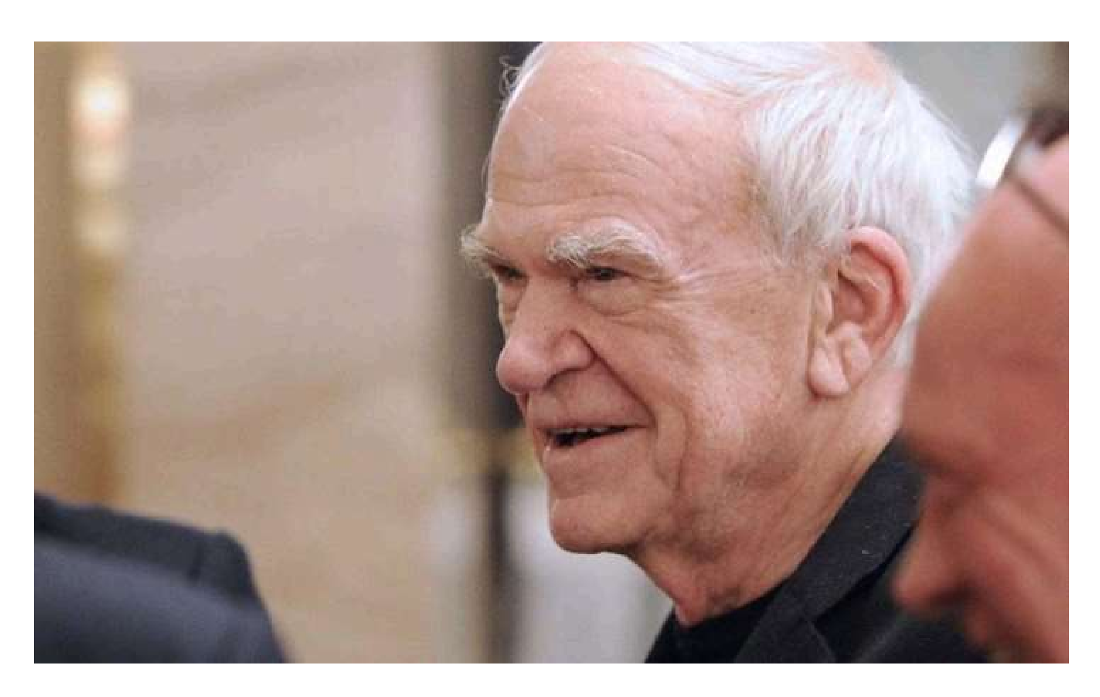
«ميلان كونديرا»... فيلسوف الضحك والنسيان في عالم الرواية الإنسانية

12 - يوليو - 2023



لم يكن المشروع الأدبي والإبداعي الضخم للكاتب الفرنسي التشيكي المولد ميلان كونديرا سوى ترجمة حقيقية لموهبة توافرت لها الظروف لتنمو وتُزهر في أجواء إبداعية خلاقه ومُبهره ، فالموهوب في الشعر والرواية والمسرح والموسيقى هو امتداد طبيعي لأبيه لودفيك كونديرا المُبدع والأكاديمي ورئيس جامعة جان كيك للآداب والموسيقى بمدينة برنو التشيكية ، فقد ظهرت أعراض المواهب الإبداعية المُتعددة للشاب الصغير ميلان في وقت مُبكر ، حيث هوى الموسيقى وتعلم العزف على البيانو وهو لا يزال طالباً بالمرحلة الثانوية .

لقد كان طبيعياً أن يرتبط ميلان كونديرا في مشروعة الدراسي الأكاديمي بميوله الإبداعية الخاصة اتساقاً مع شخصيته وطبيعة تفكيره وأهدافه الإنسانية ، لذا اتجه إلى دراسة الفنون والآداب وتخرج في كلية السينما والتليفزيون بأكاديمية الفنون التمثيلية فازداد شغفه بذلك العالم الخيالي ، لكنه ظل حائراً بين تفاصيله مُترددأ في اختيار المجال الأنسب لهواياته وميوله .

وتحت الإلحاح والرغبة القوية في الإلمام بكل ألوان الطيف الإبداعي والفني قرر أن يجمع بين الشعر والموسيقى والسينما والفلسفة والكتابة الروائية والمسرحية .

وقد نشر الكاتب الراحل الكبير في عام 1953 أولى رواياته الشعرية فلم تحظى بالاهتمام المتوقع فانصرف إلى كتابة الرواية التقليدية فأحرز تقدماً واضحاً وبدأ يُعرف كاسم في عالم الرواية والكتابة الفلسفية ، فضلاً عن أن ميوله السياسية قد أضفت على إبداعه كثيراً من العمق فهو المُهتم بالتغيرات الاجتماعية والهموم الإنسانية والعضو البارز أيضاً في الحركة اليسارية وهو النشاط الذي كان سبباً في مطاردته وحصاره لسنوات مما اضطره للهجرة إلى فرنسا والإقامة في باريس لاستكمال مشروعة الأدبي والأكاديمي والتنويري المهم .

كانت الرواية الأولى التي كتبها ميلان كونديرا باللغة الفرنسية تحت عنوان « البطء « سبباً مباشراً في شهرته كأديب وروائي ، فقد وصفها بعض النقاد الفرنسيين والبريطانيين بأنها من أهم الروايات التي كتبها مُبدعون وكُتاب من خارج فرنسا بلغة ليست لغتهم الأصلية وكان في ذلك الثناء والتقييم الإيجابي ما يكفي لأن يُصبح ميلان كونديرا أديباً مُحترفاً ومؤثراً في المجتمع الفرنسي والعالم كله بعد ذلك .

وبفعل حركة الترجمة النشطة عُرف الكاتب التشيكي الفرنسي كواحد من كُتاب الرواية الإنسانية وذاع صيته بين النُقاد والمُثقفين العرب ، ورحبت به الأوساط اليسارية وتم تداول رواياته على نطاق واسع فبدأ العالم يعرف إبداعاً نوعياً مُختلفاً تمثل في روايات مثل الخلود – يُحب الضحك – المُزحة – كتاب الضحك والنسيان – كائن لا تُحتمل خفته – حفلة التفاهة – وعناوين أخرى جاءت على النحو التالي ، الجهل – الحياة هي في مكان آخر – فالس الوداع .

ويُعد هذا اللون الإبداعي نوع من السخرية وإعمال المنهج الفلسفي في كشف ماهيات الأشياء والبشر في ضوء محاولات مُضنية لتفسير الظواهر الغريبة والمُتغيرات السلبية .

ولا يُمكن إغفال الكتاب الأهم لميلان كونديرا « تأملات في زمن الرواية « فهو أحد إنجازاته الأدبية التي طرحت مفهوماً فلسفياً وإنسانياً خاصاً للرواية بأشكالها المُختلفة ، بيد أن الأهم في تلك الدراسة التحليلية لفن كتابة الرواية ومضمونها هو كسر الحاجز الثقافي وتعميم الهموم المُشتركة بين المُجتمعات باعتبار أن الكتابة الروائية نمط تحكمه مُعطيات إنسانية ، فهي ليست محدودة بأطر وحواجز إقليمية شأنها شأن كل الفنون تصلح لكل العوالم والبيئات والبشر .

لقد اضطلع ميلان كونديرا بتغيير مفهوم الإقليمية في الإبداع وإعلاء القيمة الإنسانية لتسمو فوق كل القيم ، فتلك هي وظيفة الثقافة والفن من وجهة نظرة ، حيث الارتقاء فوق كل التصنيفات السياسية والجغرافية والعرقية ، إذ لا شيء عنده أسمى من مُخاطبة الروح فكل المُشكلات قابلة للحل إلا الفساد الروحي لا تُجدي معه أية مُعالجات ، وهو المُنطلق الرئيسي لدية وعقيدة الكتابة عنده بشكل عام .

وربما ظهر جلياً هذا البُعد في إبداعاته التي اتسمت بالفكاهة والسخرية ومن بينها مجموعته القصصية « غراميات مُضحكة « التي نُشرت في عام 1963 وأحدثت دوياً هائلاً آنذاك .

لقد نال كونديرا الذي أسقطت عنه الجنسية التشيكوسلوفاكية عام 1978 كرد فعل لأصداء مؤلفة الشهير «كتاب الضحك والنسيان» أرفع الأوسمة وأثمن الجوائز من أبرزها وسام جوقة الشرف برتبة فارس عام 1990 من فرنسا وجائزة الدولة النمساوية للأدب الأوروبي وميدالية الاستحقاق التشيكية وجائزة المواطنة الفخرية وجائزة مدينة برنو وغيرها .

كما حصل الكاتب الراحل أيضاً على الكثير من شهادات التقدير والتكريم ، ومن ثم ظلت رحلته التي بدأت بالحصار والنفي واستمرت 94 عاماً مقياساً للكفاح والنجاح والمُثابرة وعنواناً بارزاً للتميز الإبداعي في مجالات عديدة ، فهو الموسيقي والشاعر والمسرحي والروائي والأستاذ الجامعي والفيلسوف والإنسان .

كاتب مصري

كلمات مفتاحية

كمال القاضي | ميلان كونديرا







اترك تعليقاً

لن يتم نشر عنوان بريدك الإلكتروني. الحقول الإلزامية مشار إليها بـ *

التعليق *

الاسم *

البريد الإلكتروني *

إرسال التعليق

اشترك في قائمتنا البريدية

أدخل البريد الالكتروني *

اشترك

أرشيف PDF

النسخة المطبوعة

سياسة

صحافة

مقالات

تحقيقات

ثقافة

منوعات

لايف ستايل

اقتصاد

رياضة

وسائط

الأسبوعي

